قيل : إنّ العرب لمّـَا قوِى في أنفسها أمرُ المفعول حتى كادَ يلحق عندها برتبة الفاعل وحتى قال سيبويه فيهما : وإن كانا جميعا يُهمّـَانهم ويَعنيانهم خصّوا المفعول إذا أسند الفعل إليه بضربين من الصنعة : أحدهما تغيير صورة المثال مسندا إلى المفعول عن صورته مسندا إلى الفاعل والعِدّة واحدة وذلك نحو ضَرَب زيد وضُرب وَقَتل وقُتِل وأَكرم وأُكرم ودحرج ودُحِرج . والآخر أنهم لم يرضَوا ولم يقنعوا بهذا القَدْر من التغيير حتى تجاوزوه إلى أن غيروا عدّة الحروف مع ضمّ أوّله كما غيّـَروا في الأوّل الصورة والصيغة وحدها . وذلك نحو قولهم : أحببته وحُبّ وأزكمه ا وزُكم وأضأده ا وضُئد وأملاه ا وملئ .

قال أبو عليّ : فهذا يدلّك على تمكّن المفعول عندهم وتقدّم حاله في أنفسهم إذ أفردوه بأن صاغوا الفعل له صيغة مخالِفة لصيغته وهو للفاعل .

وهذا ضرب من تدريج اللغة عندهم الذي قدّمت بابه ألا ترى أنهم لمّا غيّروا الصيغة والعِدّةُ واحدة في نحو ضَرَب وضُرب و ( شَتم وشُتِم ) تدّرجوا من ذلك إلى أن غيّروا الصيغة مع نقصان العدّة نحو أزكمه ا وزُكم وآرضه ا وأرِض